

الكفاءة التأويلية في الترجمة بين الإفراط والتفريط
نماذج من ترجمات "نجمة" لكاتب ياسين

Interpretative competence in translation between excess and negligence Case of "Nedjma" by "Kateb Yacine"

* ط.د. بن هدي زين العابدين

Benhaddi Zinelabidine

مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، جامعة وهران 01 / الجزائر

University of Oran- Algeria

benhaddifuture@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2021/03/30	تاريخ القبول: 2020/10/23	تاريخ الإرسال: 2020/04/19
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

يطرح سؤال الكفاءة في الترجمة نفسه بقوة باعتباره ضرورة طارئة لا مندوحة منها لنجاح العملية الترجمة لاسيما في حقل الترجمة الأدبية التي لها خصوصية ترجمة تعجز أمامها الممارسات الترجمة والحرفية التقليدية؛ فهذا النوع من الترجمة يتجاوز الكفاءة اللغوية وحتى المعرفة ليفرض إلزامية الكفاءة التأويلية في نقل المعاني من لدن مفردات أُفرغت من دلالاتها القاموسية لِتُشحن بمدلولات سياقية قصدية خالصة للمؤلف وحده، وكأني بالكاتب يستحوذ اللغة، ولا مرية في أن المترجم ملزم بتتبع هذه المدلولات ليتقمص دور المؤلف ولكن من دون إفراط ولا تفريط في الاعتماد على الكفاءة التأويلية.
الكلمات المفتاح : كفاءة، ترجمة أدبية، كفاءة لغوية، كفاءة تأويلية.

Abstract:

The question of competence in translation is still arising strongly as an urgent and inevitable necessity for a successful translation process notably in literary translation field that has a particular specificity in front of the traditional and literal translation practices. This type of translation surpasses both the linguistic and the cognitive competence imposing an interpretative competence in transferring not the dictionary words meanings but the pure intentional and contextual meanings related to the author who possesses the language. Hence, the translator is obliged to play the role of an interpreter with neither excess nor negligence in using this interpretative competence.

* بن هدي زين العابدين. behaddifuture@yahoo.fr

Keywords: competence, literary translation, linguistic competence, interpretative competence.



. توطئة:

كلما تطورت الترجمة وتعقدت مداخلها، طرحت أسئلة جديدة، وازدادت حاجة المترجم أكثر لمراجعة منظوماتها السابقة، فجوهر الترجمة ليس من الجمود في شيء، بل جوهرها تجديد وإبداع، إذ ما انفك حقل الترجمة يشهد تطورا نوعيا وتحولا جذريا في منطلقاته النظرية وتصورات المنهجية، وممارساته التطبيقية؛ وهذا راجع لتطور كل من التفكير والفكر البشري وتقدم البحث العلمي، وعليه فمن المجدي معرفيا، كان لزاما على الترجمة أن تواكب هذا التحول، وتُحدِث مرتكزاتها وتجدد أدواتها الإجرائية.

وفي ظل هذه الظروف، يفرض سؤال الكفاءة نفسه بقوة وكحاجة ملحة وطارئة بالقدر الذي يزداد فيه الإحساس بأن حقل الترجمة بات حقلًا معقدًا، ما يستلزم إعادة قراءته واستكناه أغواره السحيقة. إن الإشكال الواقع في تحديد مفهوم الكفاءة يعود إلى تطور الترجمة وتجاوزها للسطحية اللغوية، وتطويرها لمعجمها النظري والنقدي والإجرائي، فالمعطى اللغوي أضحى يحمل حمولة معرفية وحصيلية ثقافية زاخرة متجاوزًا القراءات ذات النظرة الأفقية المحدودة.

ومن ثمة وبناء على هذه النظرة، تبتغي هذه الورقة البحثية تحديد وتقويم مفهوم الكفاءة في الترجمة ولاسيما في حقل الأدب، كما تتوخى أيضا مقارنة مستويات الكفاءة في الترجمة الأدبية وبيان أولوية الكفاءة التأويلية في نقل النصوص الأدبية لما تتمتاز به هذه الأخيرة من خصوصيات لغوية وجمالية خاصة بها، كما تتوخى هذه الدراسة البحثية الجمع بين مستويات الكفاءة في الترجمة، وتقديم قراءة نقدية وواعية لمفهوم الكفاءة لدى المترجم، ومن خلال مقارنتنا هذه، نبتغي تحديد كنه الكفاءة في الترجمة الأدبية من خلال الإجابة على التساؤلات الآتية:

. ما مفهوم الكفاءة في ميزان الترجمة الأدبية؟ وما هي شروطها؟

. كيف يتأتى للمترجم بلوغها؟ وكيف يراها اللغويون والوظيفيةون؟

. أهى كفاءة لغوية بحتة أم ترجمة خالصة أم تأويلية إبداعية؟

تقتضي الإجابة على هذه التساؤلات أن نُقر بخصوصية بحثنا هذا الذي ليس بحثا عشيا بل نحسبه بحثا عميقا في صلب الكفاءة وكنهها في نسقيها الوظيفي والإجرائي؛ فترجمة النصوص الأدبية تقتضي من المترجم كفاءة جد خاصة للحفاظ على سمات هذه النصوص، وهو ما يُعتبر من التحديات الهامة.

وما يفرض الحاجة إلى الكفاءة هو إمكانيات الوقوع في سوء الفهم أو إساءة الفهم بفعل نقص الكفاءة، وبالنظر إلى هذه المعطيات، لا بد من الإقرار بتجاوز مفهوم الكفاءة للمستوى اللغوي السطحي إلى مستويات معرفية تأويلية تصل حد الإبداع، ولنا أن نتساءل عن أولوية المستويات في هذه الكفاءة من خلال الفرضيات التالية:

. ليست هناك ترجمة متقنة دون كفاءة ترجمية عالية.

. أولوية الكفاءة التأويلية على الكفاءة اللغوية في حقل الترجمة الأدبية.

. قد تؤدي الكفاءة التأويلية حين تتمكن منها إلى اكتساب كفاءة إبداعية وهي المستوى الرابع للكفاءة.

لقد كان هذا حافزا لنا لاختيار وانتقاء موضوع هذه الورقة البحثية في قراءة مؤلف غاية في الأهمية، ألا وهو "نجمة" لكاتب ياسين؛ هذه الرواية التي لازالت اللغز المحير لغويا وسرديا ورمزيا لدى النقاد والأدباء، وبصفة خاصة المترجمين، إذ يزداد الإشكال تعقيدا حين النقل من لغة إلى أخرى لعمل قد أحدث ضجة في لغته المكتوب بها. وبناء على ما سبق ذكره، استقرت عناصر هذا البحث على كينونة الكفاءة في الترجمة ليس من منطلق لغوي ولكن من زاوية التأويلية أو القراءة والكفاءة التأويلية، وظاهريا يبدو الأمر معقدا ووعرا، ولكن البحث الأكاديمي يستوجب قدرا من الحزم والشجاعة الأدبية لحوض غمار الكفاءة التأويلية في ترجمة رواية "نجمة" من الفرنسية إلى العربية.

ومن خلال هذه الآراء، سنقوم بتتبع مفهوم الكفاءة في الترجمة ومستوياتها وشروطها وكذا أهميتها، ثم دراسة مفهوم الكفاءة كممارسة حيث توخت هذه الدراسة المنهج التحليلي المقارن عن طريق أخذ عينات من النص المترجم ومقارنتها مع النص الأصلي، وستكون العينات المنتقاة مستقاة من الترجمات الثلاث لـ "نجمة" ياسين. وقبل سبر أغوار وحوض غمار هذا المسلك البحثي، علينا أن نسترجع ما ذكرناه في بداية البحث وهو أن دراستنا تسعى لمقاربة الكفاءة من

زاوية التأويلية في ترجمة النص الأدبي بشكل عام، والنص الروائي بشكل خاص، من خلال رواية "نجمة" أمودجا.

من الأهمية بمكان أن نشير أن الإطار الذي نبحث فيه يسلط الضوء على الكفاءة من زاوية تأويلية محطّة؛ فالترجمة ليست عملية مقارنة بين لغتين، بل هي بالدرجة الأولى تختص بكيفية تأويل نصين ينتميان إلى لغتين مختلفتين على حد قول ايكو: " لا تُعنى الترجمة بالمقارنة بين لغتين لكن بتأويل نص بلغتين مختلفتين"¹. تطرح هذه المسلمة إشكالية تأييد نظرة اللغة الهدف أثناء فعل الترجمة، إذ يستوجب على المترجم عدم الاكتفاء بالقدرة اللغوية والترجمة الحرفية في النص الأصل، خصوصا إذا تعلق الأمر بالنص الإبداعي الأدبي، بل ينبغي عليه الخوض في ثقافة القارئ الهدف.

أولا . الكفاءة في الترجمة: مفهومها ومستوياتها

1. مفهوم الكفاءة في الترجمة :

يستلزم إنجاز ترجمة أي عمل أدبي امتلاك المترجم لمجموعة من القدرات والمهارات الخاصة التي تسمح له بإجراء التعديلات اللازمة وغيرها من الإستراتيجيات الترجمة؛ وهذه القدرات والمهارات تتجاوز بطبيعة الحال والضرورة معرفته اللغتين المنقول منها والمنقول إليها إلى المعرفة السياقية والمهارة التحليلية والكفاءة التأويلية والإبداعية. كما أنه من الأهمية بمكان، أن ننوه إلى أن الفهم الصحيح للمعاني يرتبط بنوعية القراءة التي يحظى بها النص المراد ترجمته، فلنا أن نتساءل: كيف يقرأ المترجم؟

يقرأ المترجم النص قراءة عامة لمعرفة ما يدور حوله النص، ثم يقرأه قراءة أو قراءات معمقة، ومن ثمة يحلله من وجهة نظر مترجم، ولا يكتفي بقراءة ما هو مكتوب على السطور، بل لابد من قراءة النص قراءة ما بين السطور؛ وهي تعني الخلفية التي تقف وراء الكلام المكتوب أو الملقى، أي أن المترجم مطالب بقراءة ما هو ظاهر وما هو مستتر خفي؛ "إذ يبقى النص مجالا للتأويلات المحتملة، التي تتجدد باستمرار، فهو عالم يعج ببدائل تتيح للمترجم المؤول أن يلج هذا العالم، وهو مدجج بمختلف الأدوات التي يواجه ويواجه بها النص؛ وهو يعلم علماً يقيناً بأن ما سيصله إليه في الأخير لا يعدو أن يكون مجرد تأويل سوف يتم تجاوزه بعد حين، لكنه يدرك أي المؤول مدى نجاعة هذه التجربة في توسيع مداركه"².

2. مستويات الكفاءة :

أولاً، تحتل الكفاءة اللغوية بالدرجة الأولى الأولوية الأولى في سيرورة العملية الترجمةية ونجاحها، فتمكن المترجم من لغتي الانطلاق والوصول تحكما جيدا يخوله لاستكناه دلالات النص المكتوب بلغة الأصل ثم التعبير عنه في اللغة الهدف بتعبيرية اللغة الهدف مراعي الشكل والمضمون؛ فالترجمة هي التفات للغة والتفاف حول اللغة، ذلك أن عملية نقل نص أدبي لا تتركز فقط على المعنى لذاته بل حول كيفية التعبير عنه. إن الترجمة في هذا السياق هي إضفاء لصبغة اللغة الهدف على العمل المترجم، وهذه الصبغة تتركز أساسا على مدى قدرة ومقدرة المترجم في استخدام موارد اللغة المتاحة لديه، ومن ثمة، نستنبط أن الكفاءة اللغوية لدى المترجم هي أولى مستويات الكفاءة في الترجمة.

ثانياً، إن ما يتجاوز بالتأكيد والضرورة معرفة المترجم وإتقانه اللغتين المترجم منها وإليها، هو الكفاءة الترجمةية، أي ضرورة امتلاكه لمجموعة الاستراتيجيات والتقنيات الترجمةية، وأيضا درايته الضرورية واللازمة بمجمل الأدوات الإجرائية والنظرية لحل الترجمة، وما نقصده هنا بالكفاءة الترجمةية هو مهارات المترجم التي تتوفر بشكل نسبي ومتفاوت من مترجم لآخر. ثالثاً، إن ما يتجاوز الكفاءات السابقة هو الكفاءة التأويلية التي تجد صداها ويتسع مداها في حقل الأدب والترجمة الأدبية بشكل خاص.

3 الكفاءة الترجمةية في ظل المقاربة التأويلية :

يستلزم إنجاز ترجمة العمل الأدبي امتلاك المترجم مجموعة من القدرات الخاصة تسمح له بإجراء التعديلات اللازمة وغيرها من الإستراتيجيات والتقنيات الترجمةية، وهي قدرات ومهارات تتجاوز بالتأكيد والضرورة، معرفته وإتقانه اللغتين المترجم منها وإليها إلى معرفة السياق وعناصره، ويُصطلح على هذه المقدرات ب"الكفاءة الترجمةية"، فما هو مفهوم الكفاءة الترجمةية؟

الكفاءة الترجمةية: تعني القيام بعمل ما، والوصول به إلى درجة من الإتقان تتفاوت من شخص إلى آخر، ويقع الالتباس عادةً بين مصطلحي "كفاءة" و "كفاية" في اللغة العربية، غير أنه من المتعارف عليه هو استخدام مصطلح "كفاءة"، في مقابل *La compétence* ، لأنه الأكثر تداولاً، على الرغم من رفضه من قبل بعض اللغويين، وتفضيلهم لمصطلح "كفاية". ويرى الباحث

أحمد مختار في معجمه "الصواب اللغوي": "أن الكفاءة مرفوضة عند البعض لأنها ترد في المعاجم بمعنى "القدرة وحسن تصريف الرأي" إن هذا المعنى قد أجازته مع استخدامه مجمع اللغة المصري"³. وإن كانت الكفاءة مطلوبة لدى المتكلم والمتلقي في اللغة الواحدة، فإنها أشد أهمية وأكثر تركيباً في مجال النقل بين اللغات عبر الترجمة، ويعتبر الجاحظ من أوائل من تناولوا موضوع كفاءات المترجم في نصه المرجعي المهم في كتاب "الحيوان" الذي عنوانه ب"شرائط الترجمان": "ولا بد للترجمان أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه، في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية"⁴.

وعلى الرغم من ذلك، فإن الجاحظ يجزم بالحكم أن التمكن من لسانين لا يُعني المترجم من إدخال الضيم حتما بإحداهما، ويقول أن القوة تكمن في اللغة الواحدة أكثر منها في اللغتين معا، مثلما يؤكد أيضا أنه: "كلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق، والعلماء به أقل، كان أشد على المترجم وأجدر أن يخطئ فيه، على أن يصل الحكم باستحالة أن يتكافأ المترجم مع العالم"⁵. ويُصطلح عادة على تسمية الكفاءة المطلوبة في الترجمة ب"الكفاءة الترجمية"؛ وهو مفهوم لا يمكن أن يكون مطلقاً، نظراً لارتباطه مفاهيمياً بقدرات ومهارات المترجم، من جهة، ونتيجة لتوفرها بشكل نسبي ومتفاوت من مترجم إلى آخر، من جهة أخرى.

« Translation competence is clearly seen as demanding expertise in various areas»⁶

" يُنظر جليا إلى الكفاءة الترجمية على أنها طلب للمعرفة في ميادين شتى" (الترجمة لنا). لقد قُدمت تعريفات عديدة لهذه الكفاءة في العقود الأخيرة، تجمع كلها على كونها تتطلب على الأقل معرفة باللغات والثقافات، أو المجال الذي تتم فيه الترجمة، وبغرض تعريفها بشكل علمي، قام الباحثون بتقسيمها إلى كفاءات فرعية *sous-competence* تتم دراستها بشكل مستقل ومجتمع في آن واحد.

تختلف هذه التصنيفات باختلاف مناهج أصحابها، ففي الوقت نفسه الذي يؤكد تيار الحرفية في الترجمة على الأولوية المطلقة للكفاءة اللغوية على حساب الكفاءات الأخرى، فإن مؤيدي وأنصار المقاربة السياقية لا يرون في الكفاءة اللغوية أكثر من يكون، على أهميته، من مكونات

الكفاءة الترجيحية، والتي يصنفها الوظيفي ألبرخت نيوبارت Albrecht Newbert، إلى فئات خمس وهي على النحو الآتي:

. الكفاءة اللغوية La compétence linguistique

. الكفاءة النصية La compétence textuelle

. الكفاءة في الموضوع La compétence thématique

. الكفاءة الثقافية La compétence culturelle

. الكفاءة في النقل La compétence du transfert

وقد أضافت كريستيان نورد Christian Nord، إلى هذه الكفاءات كفاءة سادسة، ألا وهي " الكفاءة البحثية " La compétence de la recherche، أي القدرة على البحث في الموضوع الذي يترجم فيه، وتعتبر نورد المترجم متلقي ثنائي اللغة، حيث يتوجب عليه امتلاك معرفة كاملة بالثقافة الأصل والهدف، ولديه مقدرة نقل تتكون من مهارات تلقي النص واستخدام الأدوات الترجيحية، إضافة إلى قدرته على التوفيق بين استقبال النص المصدر، وإنتاج النص الهدف".

كما قام جان دوليل Jean Delisle، في مقاله الشهير الذي نُشر في مجلة TTR، تحت عنوان : « Les manuels de traduction, essai de classification »، بتصنيف وتقسيم الكفاءات الترجيحية إلى خمسة فئات التي سنقوم بتقديمها بشكل موجز فيما يلي⁷ :

- أ . الكفاءة اللغوية: هي القدرة على فهم لغة الانطلاق ونوعية التعبير في لغة الوصول.
- ب . الكفاءة الترجيحية: هي المقدرة على معرفة تلفظ المعنى في النص و تحويله إلى لغة الوصول، دون تشويه مع تجنب كل التدخلات.
- ج . الكفاءة المنهجية: هي القدرة على القيام بالبحث التوثيقي حول الموضوع المعطى و القدرة على استيعاب المصطلحية الخاصة بميدان البحث.
- د . الكفاءة التخصصية: هي بمثابة القدرة على ترجمة النصوص ونقلها في تخصصات رئيسية مثل: الاقتصاد، والإعلام الآلي، والقانون وغيرها.

هـ . الكفاءة التقنية: تتمثل في القدرة على استخدام مختلف التقنيات التي تساعد على معالجة النص مثل بنوك المصطلحات وأدوات الإملاء وما شابهها. استعرضنا هنا أبرز وأهم الكفاءات التي يستوجب على المترجم اكتسابها حتى يؤدي عمله على أكمل وجه، ولكن المترجم، في ضوء المقاربة أو النظرية التأويلية، يحتاج إلى كفاءة أخرى، فبالإضافة إلى كفاءة التلقي والقراءة، والتي ينجم عنها كفاءة الفهم، يستوجب على المترجم أن يكتسب كفاءة التفسير والتأويل، فالتفسير يكون للفهم، أما التأويل فيستخدم أكثر عملية النقل، فالتفسير حاضر في أشكال الخطاب، في حين أن التأويل لا يشمل سوى مواطن الغموض واللبس.

استنباطا مما سبق الاطلاع عليه من كفاءات، فإن الكفاءة التأويلية تلعب دورا محوريا وبالغ الأهمية والحيوية في سيرورة العملية الترجمة، ونجاح عملية النقل، وإعادة خلق المعنى في اللغة الأخرى؛ فالترجمة عملية تأويل خالصة حتى تلك الحرفية كما أشار إلى ذلك غادامير بقوله:

« Toute traduction, et même ce que l'on nomme mot à mot est une forme d'interprétation »⁸

" إن كل ترجمة بما فيها تلك التي نستخدمها عبارة كلمة بكلمة، هي ضرب من ضروب التأويل " (الترجمة لنا).

إذن، تتم الكفاءة التأويلية من ناحية أخرى، عن ذوق وعن عادة تلقي، كون بعض النصوص تعتبر عصبية على التأويل في لغات معينة، وكون الأشكال اللغوية ليست مؤهلة لاحتضان كل تجلياتها لاسيما النصوص الثقافية. فالكفاءة التأويلية تتركز على مقدرة المتلقي والمترجم كمتلقي فوق العادة، على ملأ فراغات التأويل من خلال القيام بجهد تأويلي.

ثانيا . دور الكفاءة التأويلية في عملية الترجمة:

فرضا وليس عبثا أو اعتباطا، كان اختيارنا لدراسة نماذج تطبيقية من " نجمة" كاتب ياسين، فهذا العمل الأدبي متفرد بلغته و بكتابه، والذي يعد نصا مرجعيا في أعرق الجامعات العالمية. يُعتبر كاتب ياسين أديبا جزائريا من الطراز العالي، فهو صاحب كتابات روائية ومسرحية وشعرية، كما يُعد صحافيا متمرسا، فقد حظي بشهرة عربية وعالمية. لُقّب ب"نبي العصيان"، وهو من

الأدباء الأكثر جدلا في الجزائر، فاسمه الحقيقي "محمد خلوطي"، وُلد ذات 06 أغسطس من عام 1929، ببلدية زيغود يوسف، بقسنطينة.

كان مفكرا حرا، يكتب أعماله باللغة الفرنسية لكنه كان مجبرا على ذلك وفسر الأمر بقوله: "أكتب بالفرنسية لأقول للفرنسيين أنني لست فرنسيا"، ولهذا، جادت قريحته بكتير الأعمال الأدبية وقد كان أبرزها وأعرقها "نجمة"، و"نجمة هي المرأة التي أحبها ولكنها كانت متزوجة من رجل آخر، وقد صنفها النقاد على أنها النوع الفاصل أي العمل الذي يحدث قطيعة بين الإنتاج الأدبي السابق واللاحق، وهي رواية تأريخ ورصد للكفاح الجزائري أصدرها عام 1956، وكانت في الأصل عبارة عن قصيدة بعنوان "نجمة والسكين". كما صنعت هذه الرواية الحدث الأدبي والإعلامي، وتمت ترجمتها إلى عدة لغات عالمية، وما تزال، بعد 58 سنة من صدورها، متجددة ومثيرة لعديد التساؤلات عن الثورة والهوية والتركيبة الاجتماعية والحب والبغض والجنون و عن الجزائر التي تظل نجمة غامضة.

إن دراستنا هذه تبتغي المقارنة بين النص المكتوب في الأصل باللغة الفرنسية وترجماته الثلاث باللغة العربية من منظور الكفاءة أو في مضمار الكفاءة الذي ينطلق من كفاءة القراءة وصولا إلى الكفاءة التأويلية؛ كما أنه لا بد من الإقرار أنه من الصعب الحصول دائما على ترجمة ماثلة ومكافئة للنص الأصلي، وهذا لا ينفي وجود ترجمات ممتازة تتجاوز في أحيان كثيرة النصوص الأصلية. سنحاول في الأمثلة التي تناولتها الدراسة بالتحليل، تسليط الضوء على ترتيب أولوية الكفاءة في مستوياتها: اللغوي، والترجمي، والمعرفي، والتأويلي، وكذا الحرص على بيان الضرورة الملحة لكل مستوى في نجاح العملية الترجمة؛ وإنما هنا لا ندعي إحراز قصب السبق في الإتيان بهذا التحليل بل يتعين علينا الإشادة بدور الكفاءة التأويلية لدى المترجم في استكناه مواطن النص.

المثال الأول:

-Dieu le généreux.⁹

جاءت هذه العبارة في مستهل الرواية لتعبر عن حالة الانبهار الكبير الذي شعر بها العمال الجزائريين الثلاث وهم يشاهدون سوزي Suzy، التي أسرتهم جميعا بجمالها، وهذه العبارة مستقاة

بكل وضوح من الكلام العامي المتداول بين الجزائريين في حالة الدهشة والإعجاب بشيء والانبهار به، ويمكن أن تقول بالدرجة: "يا الرب الكريم".

فالمتجمة السورية "ملكة أبيض العيسى" وُفقت في الترجمة بحيث نقلتها على النحو التالي: "يا إلهي" ¹⁰.

أي ترجمتها بالأسلوب الفصيح وحرمت بذلك القارئ من الخصوصية المحلية المعبرة عن البيئة الثقافية للنص، وكان حريا بما مراعاة المستوى اللغوي للمتكلم، ولهذا فإن كفاءتها اللغوية وُفقتها في نقل المعنى الحقيقي لهذه العبارة، ولكنها لم تُوفق في التأثير على القارئ وهذا راجع لنقص كفاءتها المعرفية بالسياق والبيئة المحلية التي قيلت فيها هذه العبارة؛ وعليه، نستنتج أن الكفاءة المعرفية تفوق الكفاءة اللغوية في هذا النموذج الأول.

أما المترجم التونسي "قوبعة"، فقد ترجمها على النسق التالي:
"سبحان الله" ¹¹.

وهذه العبارة تُقال تعظيما لله وإظهارا للانبهار والدهشة، ولهذا ينطبق عليه نفس الأمر، أي أنه نقلها بمستوى فصيح لا يعبر عن الصورة تماما كما يعبر عنها المستوى اللغوي العامي.

أما المترجم والأديب الجزائري "بوطاجين"، فقد نقلها لنا على الشاكلة التالية:
"يا الله يا كريم" ¹².

وهي ترجمة حرفية للعبارة بالفرنسية، وهو التماس العون من الله ذو القدرة والقوة، وبالتالي فترجمته جاءت عكس المقصود، وعليه فإن القراءة الصحيحة للمشهد الروائي لم تكن موفقة عند السعيد بوطاجين.

-ترجمتنا المقترحة :

يمكننا ترجمة عبارة Dieu le généreux، ب:

- يارياه - سبحان الخالق المصور - ماشاء الله

مفردة Généreux، تعني لغويا "الكريم والجواد والمعطاء، والسخي في عطائه"، ولكن يمكننا أن نفرغها من معناها القاموسي ونسحبها بدلالة سياقية بطريقة تأويلية بحيث نختار لها ما يقابلها من اللفظ بعدة حلول ومقترحات منها :

- "سبحان الخالق"، وهنا كلمة *généreux*، تصبح مقابل لكلمة "الخالق" وليس "الكريم". كما يمكننا أن نترجمها بـ "سبحان المصوّر"، يعني لا يصبح الكرم في الخلق فقط بل في حسن التصوير والخلق.

يمكننا أيضا إقتراح مثال مغاير بحيث نقول:

- "يا سلام"، وهو مقابل سياقي دلالي، وليس لفظي لغوي فحسب، كما يمكننا اقتراح ترجمات أخرى على غرار: "يا إلهي"، "يا للهول"، "رباه"، "يا رب يا كريم" باللغة العربية الفصحى. غير أننا سنعمد إلى ترجمتها بلعامية لما فيها من صبغة ونكهة محلية خاصة تعكس محلية وبيئة الجزائري، حيث نقول: "يا الرب الكريم" بسكون الباء في كلمة "الرب" وسكون الميم في كلمة "الكريم".

من خلال هذا المثال الأول، نستخلص دور وقوة الكفاءة التأويلية في تحرير المعنى من اللفظ والباسه حللا لفظية متعددة تفي بالغرض وتوصلنا إلى ما يقصده الكاتب في نصه، ودون الانقاص من المعنى في شيء، بل الهدف من ضرورة اعتماد الكفاءة التأويلية هو الزيادة في جودة الترجمة حتى يكون لها أثر وتأثير على القارئ.

.المثال الثاني:

«Lakhdar s'est échappé de sa cellule. A l'aurore, sa silhouette apparait sur le palier ; chacun relève la tête, sans grande émotion. Morad dévisage le fugitif.»¹³

. ترجمتها ملكة أبيض العيسى:

" لقد فر لخضر من زنزانه. لاح خياله عند الفجر على أعلى الدرج، ورفع الكل رؤوسهم دون انفعال كبير، وألقى مراد ببصره على الهارب"¹⁴.

لم تُوفق المترجمة ملكة أبيض العيسى في ترجمة هذه العبارات حيث نقلت كلمة *Lakhdar*، إلى اللغة العربية بـ "الأخضر"، وهذه الكلمة لا تعبر عن الاسم "الخضر" الذي له وقع في نفسية القارئ العربي الجزائري، لما يحمله هذا الاسم من خصوصية محلية بدون "أل" التعريف، وهذا إن دل إنما يدل على نقص الكفاءة المعرفية بالخلفية الاجتماعية والثقافية للبيئة المحلية الجزائرية التي يكون فيها للاسم شحنة دلالية ثقافية خالصة.

والأمر الثاني هو ترجمتها لعبارة « Sans grande émotion »، بـ "دون انفعال كبير"، ولكن إذا ما قرأنا العبارة جيدا وفهمنا مقصود كاتب ياسين، فإننا نجد أنه يريد توضيح عدم اهتمام واكتراث أصحابه بقدمه، ولم يعبروه اهتماما كبيرا، ومن هنا فـ"الانفعال" لا يعني بالضرورة الاهتمام، وهذا إن دل إنما يدل على نقص كفاءة القراءة الأفقية والعمودية للنص الياسيني، والفهم الناقص للمعنى. وفي هذا المقام، تُجدي التأويلية نفعاً بحيث لا يعبر ياسين عن مقاصده باللفظ السطحي بالضرورة، فهو يُحمل الألفاظ أكثر من طاقتها، وأحياناً أخرى، يُفرغها من معناها القاموسي، ويشحنها دلالة سياقية براغماتية تساعده في تبليغ مقاصده.

أما الملاحظة الثالثة، فهي نقلها لكلمة « Dévisager »، بـ"ألقى بصره"، وهنا المعنى السياقي هو أمر آخر، فالمقصود هنا هو التفرس بالنظر، والتحديق بوجه الشخص وتفحصه. ولهذا، نستخلص من ترجمة العيسى، نقص كفاءتها الترجيحية أو اللغوية ونقص اطلاعها بالتحليل والخلفية الثقافية والاجتماعية للروائي "كاتب ياسين"، فهذا الكاتب يكتب بفرنسية خاصة به، حيث يقول:

« Nous n'écrivons pas le français, nous écrivons en français ».

أما التونسي "قوبعة" فقد نقل لنا العبارة على الطريقة التالية:

"فر الأخضر من زنزانته، وبدا عند الفجر شبحة على العتبة، فارتفعت رؤوس الحاضرين تستطلع الأمر دون أن يبدو عليهم كبير التأثير. تفحص مراد الهارب"¹⁵.

والملاحظ على هذه الترجمة هو نقله لكلمة « silhouette »، بـ"الشبح"، وهي ترجمة غير دقيقة للفظ المستخدم، وإضافته لكلمة "تستطلع"، وهو أمر غير موجود في العبارة الأصلية. كما أضاف "دون أن يبدو عليهم كبير التأثير" وهي ترجمة للعبارة: « Sans grande émotion »، وقد وُفق في ترجمتها نوعاً ما.

أما المترجم الجزائري سعيد بوطاجين، فقد نقلها بالكيفية الآتية:

"الخضر هرب من الحبس، وظهر شبحة على السطح فجراً، وقد رفع كل واحد رأسه دون اندهاش يُذكر، تفرس مراد الهارب جيداً"¹⁶.

الملاحظة الأولى هي ترجمته لاسم « Lakhdar »، بـ "الخضر" دون "أل" التعريف لإدراكه خصوصية هذا الاسم المحلية، فالسعيد بوطاجين هو جزائري متشبع بالثقافة المحلية الجزائرية، أما

الملاحظة الثانية فهي ترجمته لعبارة: « Sans grande émotion », بـ "دون اندهاش يُذكر"، وهنا لم يُوفق في نقل المعنى المقصود بـ: « émotion », التي هي كلمة جامعة وكُلّية، في حين كلمة "اندهاش" هي جزء من الأحاسيس، كما أنه نقل لنا مفردة « Dévisager »، بتـ "تفرس جيداً"، وهي ترجمة فيها نوع من الإسهاب بحيث يعكس هذا الأمر إلمامه بالقواعد الإجرائية للترجمة وأدواتها.

-ترجمتنا المقترحة:

"فر لخضر من زنزانتة وبنغ خياله على السطح مع طلوع الفجر، وقد رفع كل واحد رأسه دون أدنى اكتراث به، أما مراد فقد تفحص وجه الهارب جيدا"
لا ندعي في ترجمتنا هذه الدقة العالية ولا صحة الترجمة مئة بالمئة بل نسعى لنقل المعنى بطريقة تأويلية خالصة من خلال ما يلي:

- Sans grande émotion، ترجمناها بـ: "دون أدنى اكتراث"، وهنا نجد أن كلمة grande تعني كبير أو كثير، ولكننا استبقنا المعنى واستنطقنا النص وألبسناه لفظا آخر ولكنه يفني جيدا بالغرض، بحيث ترجمنا grande بـ "أدنى"، وهو معنى عكسي ولكنه يفني بنقل المقصود سياقيا على نحو تأويلي.

-المثال الثالث:

« Mais l'écrivain était dans la Nirvana »¹⁷

-ترجمتها العيسى بـ "ولكن الكاتب كان في غيبوبة نشوة"¹⁸
ترجمها قوبعة بـ "ولكن الكاتب كان قد غاب في نشوة النيرفانا"¹⁹
الملاحظ على الترجمتين السابقتين أنهما قاما بنقل المفردة بمعناها القاموسي البحث دون أدنى جهد تأويلي، كما أن قوبعة لجأ إلى السبيل الأسهل وهو الاقتراض يعني ترجم كلمة Nirvana، بـ "نيرفانا" دون جهد ترجمي ولا جهد تأويلي.

أما السعيد بوطاجين فقد، جانب صواب المعنى بترجمتها على النحو التالي: "بيدا أن الكاتب كان في الفناء المطلق"²⁰، والفناء المطلق هو العالم البعيد عن الحياة المادية و هو عالم الروح الخالية من الرغبات البشرية الفطرية.

-ترجمتنا المقترحة:

"غير أن الكاتب كان في عالمه الروحي"،

وهذه الترجمة هي ترجمة معنوية خالصة لا تلتصق باللفظ بل تستخدمه لبلوغ المعنى التأويلي الخفي الذي يكتشفه القارئ المسلح، وهذا القارئ المسلح هو المترجم.

-المثال الرابع:

« Laisse le puits couvert, comme on dit »²¹

-ترجمة العيسى: "أترك البئر مغلقة"²²

وهي ترجمة لغوية خالصة لا تفي بالمقصود أو المعنى الضمني، فالمعنى هنا وضع حد للكلام وتجنب الغوص والخوض في الحديث، فما خفي أعظم".

-ترجمة قوبعة: "لا تسحب غطاء الكنيف"²³

هذه الترجمة هي ترجمة معنوية موفقة إلى حد بعيد لأنها تقدم المعنى لا المبنى.

-ترجمة بوطاجين: "خل البئر مغطى"²⁴

هذه الترجمة هي ترجمة بلغة فصحي ممزوجة بالعامية.

-ترجمتنا المقترحة:

يمكننا ترجمتها بعدة صيغ بطريقة تأويلية دون الحاجة للحفاظ على الألفاظ نفسها، بل سنقوم

بتطبيق المقاربة التأويلية في ترجمة هذه العبارة ونقترح ما يلي:

-فلنقطع الحديث - دعنا من الحديث الآن - كفانا كلاما في هذا - فلنغير الموضوع.

كلها ترجمات تفي بالغرض التأويلي وتنقل المعنى دون الحاجة للالتصاق الحرفي بالألفاظ التي استخدمها الكاتب، وهنا يبرز دور وأولوية الكفاءة التأويلية على باقي الكفاءات الأخرى، بحيث تتيح لنا الكفاءة التأويلية حلولاً عديدة وإمكانات أخرى تقودنا إلى ترجمات مرضية ذات جودة عالية.

-المثال الخامس:

« Minute ! ne me prends pas en traître »²⁵

-ترجمة العيسى: " لحظة، لا تأخذني بالجرم المشهود"²⁶

-ترجمة قوبعة: " لحظة لا تسألن كما لو كنت تستجوب خائفا"²⁷

-ترجمة بوطاجين: "دقيقة لا تحسني خائنا"²⁸

الملاحظ على هذه الترجمات الثلاث أنها ترجمت كلمة Minute، بـ "لحظة، ودقيقة" يعني ترجمة بلفظة تدل على الزمن، وهي ترجمة لغوية حرفية بحتة وصحيحة شكلا ومعنا، ولكن كان حريا بالمترجم أن يراعي الجودة في الترجمة، يعني كان عليه أن يقرأ ويفهم ويُجرد المعنى من لفظه ويعبر عنه بمفردات أخرى تزيد من جودة الترجمة وهذا بالاستعانة بالقراءة التأويلية للنص.

-ترجمتنا المقترحة:

نقترح كترجمة لمفردة Minute، ما يلي :

-تمهّل - مهالاً - انتظر

-عفواً (يمكن أن تجانب المعنى بشكل جيد)

-توقف (مقبولة جدا)

كل هذه الترجمات المقترحة من طرفنا نراها أنسب وأحسن من الترجمات المقدمة من المترجمين الثلاث لأن اقتراحاتنا تبتغي الجودة في عملية الترجمة ولا تروم الترجمة بغرض الترجمة فقط.

خاتمة:

لا مرية أن الكفاءة شرط لا مندوحة منه لنجاح عملية الترجمة أولا ونقل المعنى المقصود ثانيا، وعليه فكفاءة القراءة هي ذات أولوية كبيرة لأنها هي المسؤولة عن استنطاق النص واستكناه المعنى، ثم نقله إلى اللغة الهدف بما يُكافئه من اللفظ. كما أن نجاح هذه العملية يعتمد على مستويات الكفاءة جميعها بما فيها اللغوية والمعرفية والترجمية والتأويلية، ولهذا خلصت الدراسة إلى حقيقة أن الكفاءة التأويلية هي شرط لا مفر منه بحيث تجد صداها في ترجمة النصوص الياسينية لا لسبب سوى لأن ياسين لا يكتب اللغة الفرنسية وإنما يكتب بالفرنسية ويُشحنها بما شاء.

ويمكننا أن نقول أن النتائج التي بلغتها هذه الورقة يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

. الترجمة وخصوصا الأدبية ليست عملية لغوية فقط، بل هي إبداعية، يسعى المترجم فيها إلى بلوغ الجودة، والسبيل الوحيد لهذا هو ضرورة اعتماد الكفاءة التأويلية وإعطائها أهمية بالغة، وما النص الياسيني المدروس في هذا المقال إلا دليل على ذلك.

. يحتاج النص الأدبي عموما والنص الياسيني خصوصا من المترجم أن يوظف طاقاته القرائية والتصورية والتأويلية.

. مترجم الأدب هو مبدع ومجدد، وليس ناقلا باهتا للنص.
. أولوية الكفاءة التأويلية على غيرها من الكفاءات إذا كان المبتغى هو الزيادة في جودة الترجمة.

هوامش:

- 1- Umberto Eco, Experiences in Translation, translated by Alastair, Mc Ewen, University of Toronto Press, 2008, 2nd edition, p14
- 2-Umberto Eco, L'œuvre Ouverte, traduit de l'italien, editeur Points, 1979, p30.
- 3- أحمد مختار، معجم الصواب اللغوي، دليل المثقف العربي، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، ص621/620.
- 4- أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، الجزء الأول، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط2، 1965، ص76
- 5 المرجع نفسه، ص77.
- 6-Christina Slaaffixen, Bevery Abad, Developing Translation competence, Benjamins Translation Library Congress, USA, 2001.
- 7-Jean Delisle, Les manuels de traduction, essai de classification, TTR, : Traduction, Terminologie, Rédaction, Erudit, p17
- 8-J.Gadamer, Herméneutique et philosophie, Paris, Beauchesne, 1999, p145.
- 9- Kateb Yacine, Nedjma, Edition Seuil, Paris, 1956,p12.
- 10- كاتب ياسين، "نجمة"، ترجمة ملكة أبيض العيسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1980ص27
- 11- كاتب ياسين، "نجمة"، ترجمة محمد قوبعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص08.
- 12- كاتب ياسين، "نجمة"، ترجمة السعيد بوطاجين، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2014، ص13.
- 13-Kateb Yacine, Nedjma, Op.cit, p11
- 14- كاتب ياسين، نجمة، ترجمة ملكة أبيض العيسى، مرجع سابق، ص25
- 15- كاتب ياسين، نجمة، ترجمة محمد قوبعة، مرجع سابق، ص06
- 16- كاتب ياسين، نجمة، ترجمة السعيد بوطاجين، مرجع سابق، ص11
- 17-Kateb Yacine, Nedjma, Op.cit, p177
- 18- كاتب ياسين، نجمة، ترجمة ملكة أبيض العيسى، مرجع سابق، ص230

- 19- كاتب ياسين، نجمة، ترجمة محمد قوبعة، مرجع سابق، ص184
- 20- كاتب ياسين، نجمة، ترجمة السعيد بوطاجين، مرجع سابق، ص227
- 21-Kateb Yacine, Nedjma, Op.cit, p190
- 22- كاتب ياسين، نجمة، ترجمة ملكة أبيض العيسى، مرجع سابق، ص245
- 23- كاتب ياسين، نجمة، ترجمة محمد قوبعة، مرجع سابق، ص197.
- 24- كاتب ياسين، نجمة، ترجمة السعيد بوطاجين، مرجع سابق، ص255
- 25-Kateb Yacine, Nedjma, Op.cit, p177.
- 26- كاتب ياسين، نجمة، ترجمة ملكة أبيض العيسى، مرجع سابق، ص230
- 27- كاتب ياسين، نجمة، ترجمة محمد قوبعة، مرجع سابق، ص184.
- 28- كاتب ياسين، نجمة، ترجمة السعيد بوطاجين، مرجع سابق، ص261.